المشتري

عَوْدٌ على ما في الجزء الاول — ذكرنا فيما تقدم وصف هذا الجرم العظيم على قدر ما تتناول الآلات البصرية من منظرهِ وما يتوصل اليهِ الرصد والحساب من تخطيط فلكهِ وتقدير حجمهِ وكثافتهِ الى غير ذلك . وبقي هناك من استطلاع ما ورآء ظاهرهِ ما لا سبيل الى الوصول اليهِ لدوام احتجابهِ بالغيوم الكثيفة خلافاً لما عليهِ المرّيخ مثلاً فان سطحهُ مكشوفٌ للنظر لا يعترض دونهُ حجاب فترَى من هنا صورة ما عليهِ من البرّ والبحر وما يتخللهُ من البحيرات والجُزُر والتُرَع العجيبة وما يتراكم على قطبيهِ من الثلوج حتى



امكن رسم خريطةٍ لهُ وتسمية كل جزء منهُ ومراقبة ما يحدث على سطحهِ من تبدُّل المناظر وكل ذلك لا يُرَى شيءٌ منهُ في المشتري

الا انك اذا نظرت الى هذا السيّار ولو بمنظارٍ ضعيف انكشف لك مشهدٌ من ابهى المشاهد وابدعها منظراً فانهُ فضلاً عن قرصهِ النيّر البهيج ذي المناطق المختلفة التي وصفناها من قبل يُرَى لهُ اقمارٌ اربعة تتحرك على جانبيهِ فتكون تارةً صفاً واحداً الى شرقيهِ او غربيهِ وتارةً يكون بعضها الى الجانب الواحد والبعض الى الجانب الآخر على نحو ما تراهُ في الرسم واذا

عاودت النظر حيناً بعد حين رأيت هذه الاقمار تنتقل من اماكنها وربما خفي بعضها او كلها ثم تعود الى الظهور . وهي على الحقيقة تدور حول السيار في افلاكٍ شبيهة بفلك القمر حول الارض ولكن لما كان محور المشتري عموداً على فلكهِ الذي في سطحهِ فلك الارض ايضاً وهي تدور حول خطّ استوآئهِ على التقريب ظهرت لنا في السطح نفسهِ كأنها تنتقل من احد جانبيهِ الى الآخر

وافلاك هذه الاقمار بعضها ضمن بعض واقربها يدور حول المشتري على بعد ٢٦٧ الف ميل وهو اكثر من بعد القمر عن الارض قليلاً . والثاني يدور على بعد ٤٢٥ الف ميل والثالث على بعد ٦٧٨ الف ميل والرابع على بعد الف الف ومئة وثمانين الف ميل . واما مُدَدها فالاول يقطع فلكهُ في ٤٢ ساعة او في نحو اربعة ايام من ايام المشتري هي شهر هذا القمر . والثاني يتمّ دورتهُ في ثمانية ايام ونصف والثالث في سبعة عشر يوماً والرابع في اربعين يوماً . فللتوقيت في هذا السيار اربعة انواع من الشهور تختلف طولاً وقصراً وكذلك الاسابيع على اربعة انواع تبعاً لاوجه كل واحد من تلك الاقمار . واذا اضفنا الى ذلك ان سنة المشتري تتألف من ١٠٤٥٥ يوماً من ايامهِ ازداد الامر غرابةً لان اقلّ ما تشتمل عليهِ السنة نحو ٢٦٠ شهراً وبالتحرير ٢٥٨ شهراً و ٢٤ يوماً وهي عدد دورات القمر الابعد في مدة السنة . واما شهور بقية الاقمار فهي ٦٠٠ شهر للقمر الثالث و ١٢١٦ شهراً للقمر الثاني و ٢٤٤٨ للقمر الاول

واما حجم هذه الاقمار فقُطر الاول وهو اقربها الى السيار ٢٣٦٠ ميلاً

وقطر الثاني ٢١٠٥ اميال وقطر الثالث ٣٦٠٠ ميل وقطر الرابع ٢٧٣٣ ميلاً ٠ فكل واحدٍ منها ما خلا القمر الثاني اكبر من قمر الارض والثالث يقرب قطرهُ من نصف قطر الارض ويقرب حجمهُ من ثلثي حجم المريخ ومن ضعفي حجم عطارد فهو حقيقٌ بان يُعَدّ في جملة السيارات لا في جملة الاقمار ٠ وقد تقدم ان القمر الاول يتمّ دورتهُ حول السيار في ٤٢ ساعة وهي سرعة غريبة فان قطر فلكهِ يبلغ نحو ٦٢٢ الف ميل فيكون محيطهُ نحو الف و ٩٥٥ الف ميل وعلى ذلك تكون سرعتهُ نحو ٧٧٨ ميلاً في الدقيقة او ما يقرب من ١٣ ميلاً في الثانية مع ان قمر الارض لا يتجاوز ٣٨ ميلاً في الدقيقة او اقلّ من ثلثي الميل في الثانية

لكن من غريب ما يتفق لهذه الاقمار انها لما كانت افلاكها قليلة الميل على خط استوآء السيار مع كبر حجمهِ واستطالة مخروط الظلّ الذي يلقيهِ في الفضآء بسبب بعدهِ عن الشمس فهي كلما ادركت الاستقبال عبرت في الظل فخسفت ولذلك لا يُرَى شيءٌ منها بدراً ما خلا القمر الرابع احياناً لان فلكهُ اميل من افلاك البقية بحيث يقع طريقهُ عند حدود الظل أو يعبر في اطرافهِ فيخسف خسوفاً جزئياً واما الثلاثة الاولى فلا تكمل البتة . وذلك ان مخروط الظل المذكور يبلغ طولهُ ما يزيد على ٥٥ الف الف ميل وهي اكثر من نصف المسافة التي بين الارض والشمس فهو على المسافة التي تجري فيها الاقمار حول السيار لا يكاد ينقص قطرهُ عن قطر السيار نفسهِ . ولذلك يتوالى خسوف هذه الاقمار بحيث انهُ في مدة الشهر الاطول وهو شهر القمر الرابع لا يقع اقلّ من ١٧ الى ١٨ خسوفاً اكثرها للقمر الاول لانهُ يخسف

في كل اربعة ايام مرة . ولما كانت هذه الاقمار تخسف بمرورها في ظل السيار لزم بالضرورة ان تكسف الشمس كلما مرّت بينها و بين السيار فتحجب الشمس في كل المواضع التي تمرّ عليها بحيث انهُ كلما خسف احد الاقمار مرةً كسف الشمس مرة فلا يكاد يخلو يومٌ من خسوف اوكسوف وربما وقع خسوفان أو كسوفان في اليوم الواحد . وكلٌّ من الخسوف والكسوف يشاهد من هنا فيُرَى القمر عند دخولهِ في مخروط الظل وعند خروجهِ منهُ وذلك قبل استقبال المشتري او بعدهُ ويُرَى ظلّهُ على سطح السيار عند مرورهِ بينهُ و بين الشمس كما ترى صورة ذلك في الجزء الاول (صفحة ٢) وقد رُسم احد الاقمار الى شمال الشكل وظلهُ الى يمينهِ في الوسط

وهنا يعرض للمتأمل ان يسأل هل تشتمل هذه الاجرام الاربعة على كائناتٍ حية اذ لا ريب ان سطوحها قد بردت منذ الوف كثيرة من السنين بخلاف سطح المشتري نفسهِ . والاظهر انهُ لا يمتنع وجود هذه الكائنات فيها لما يغلب على الظن من ان جميع مقوّمات الحياة متوفرة فيها على حدّ غيرها من سائر بنات الشمس اقماراً كانت او سيّارات اللهمَّ الاّ ما فُقد منهُ بعض تلك المقوّمات كقمر الارض مما لا محلّ للافاضة فيهِ هنا ولا وجه لأن يُجعَل قياساً لغيرهِ . وقد تبيّن من تكرار الرصد عليها عند مرورها امام وجه السيار وهو الوقت الذي تكون فيهِ على اقرب مسافاتها من الارض انها لا تخلو من هوآء جوّي يحيط بسطوحها وتسبح فيهِ الغيوم فتغيّر من لونها وشكلها ويتفاوت انعكاس النور عنها قوةً وضعفاً بل رُؤي في بعضها سوادٌ يشبه محو القمر مما لا يبعد في الظن ان يكون بحاراً . ثم ان

هذه الآثار كلها لا تثبت على منظرٍ واحد ولكنها تتبدل حيناً بعد آخر وتنتقل من اماكنها مما يدل على ان لهذهِ الاقمار دورةً على محاورها بخلاف قمر الارض

اما منظر السماء من المشتري فما خلا الاقمار المذكورة الدائرة حولهُ لا يختلف في شيء عن منظرها من الارض فكل ما يُرَى هنا من الكواكب والصُوَر يُرَى هناك بلا فرق . وذلك فيما سوى اجرام العالم الشمسي فان الشمس لا يزيد قرصها هناك على $\frac{1}{27}$ مما يُرَى عليهِ هنا . وعُطارد والزُهَرة لا يُرَيان من هناك اصلاً لقربهما من الشمس واستتارهما باشعتها . واما الارض فتُلمَح صباحاً او مساءً بقرب الشمس وهي لا تبعد عنها الا ١٢ درجة فقط ولذلك لا تكاد تُرَى بالعين المجرَّدة وتُرَى بالآلات المقرّبة كالقمر في اوان التربيع لانها اذا جاوزت مُعظَم تباينها تغوص في اشعة الشمس فلا تعود تُرَى الا اذا عبرت امام الشمس فتظهر نقطةً سوداء كشامةٍ صغيرة على وجهها . واما المرّيخ فيُرَى هناك كما يُرَى عطارد عندنا بل دون ذلك لانهُ اضعف نوراً واقرب الى الشمس لان معظم بعدهِ عنها لا يتعدى ١٧° حال كون عطارد يبلغ بعدهُ عن الشمس احياناً ٢٩° . واما زُحَل فيظهر من هناك بمنظرٍ بهيج وهو اجمل ما يُرَى في سماء المشتري لان حلقاتهِ يمكن ان تُرَى بالعين المجرَّدة

ومنظر السماء من كل واحدٍ من تلك الاقمار كمنظرها من المشتري لكن يظهر لها المشتري بشكل قمرٍ هائل العِظَم يُرَى من اقربها مالئاً فسحةً من السماء يبلغ قطرها ١٩° و ٤٩َ فيكون قرصهُ بمقدار ١٥٧٤ بدراً من مثل

قمر الارض ويُرَى من أبعدها اعظم من قمر الارض بخمس وسبعين مرة ٠ فهو في نظر سكان تلك الاقمار اعظم الاجرام السماوية على العموم ومنزلتهُ عندهم كمنزلة الشمس عندنا وهي دونهُ بكثير لانهم لا يرونها من هناك الا قرصاً صغيراً حالة كونهِ يُرَى من القمر الاول اعظم من الشمس بخمسة وثلاثين الف ضعفٍ ومن الرابع بنحو الف وتسع مئة ضعف

بقي انهُ قد اكتُشف لهذا السيار قمرٌ خامس اقرب اليهِ من القمر الاول اكتشفهُ المسيو بَرْنَرْد في كاليفُرنيا سنة ١٨٩٢ ٠ وهو يبعد عن سطح السيار ٦٧ الف ميل فلا يزيد بُعدهُ عند معظم تباينهِ على ثلثي قطر السيار ومثل هذا لا يُرَى في شيء من الاجرام السماوية ٠ وتتمّ دورتهُ على هذا البعد في ١١ ساعة و٥٧ دقيقة و٢٣ ثانية فيقطع فلكهُ بسرعة ٩٨٤ ميلاً في الدقيقة او نحو ١٦ ميلاً في الثانية وهي تزيد على سرعة القمر الاول نحو الثلث بحيث ان دورانهُ يقرب من سرعة دوران المشتري حول محورهِ ويتأخر عنهُ في الدورة الكاملة نحو ساعتين فقط ولذلك لا تكاد تُرَى لهُ حركة لناظرٍ اليهِ من سطح المشتري ولا يقطع فلكهُ بالقياس الى الناظر اليهِ من هناك الا في ستة ايام يكون ثلاثةً منها فوق الافق وثلاثةً تحتهُ

وجرم هذا القمر في غاية الصغر فان قطرهُ لا يزيد على ١٠٠ ميل ولصغر حجمهِ وفرط قربهِ من السيار لا يُرَى الا عند معظم تباينهِ ولا يظهر الاّ بأقوى الآلات ٠ وقد كان لاكتشافهِ اغرب وقع عند علماء الهيئة لانهُ كان قد رسخ في عقيدة اكثرهم ان اقمار المشتري لا ينبغي ان تتجاوز الاربعة جرياً على قاعدة التضعيف في عدد الاقمار بين سيارٍ والذي يليهِ ٠ وذلك ان

الارض لها قمرٌ واحد والمرّيخ لهُ قمران وكان المعروف ان المشتري لهُ اربعة اقمار وزُحَل لهُ ثمانية ولذلك كانوا يقدّرون انهُ ينبغي ان يكون لاورانس ستة عشر قمراً ولنبتون اثنان وثلاثون وهو ما لم يتحقق شيء منهُ الى الآن . على انهُ قد اكتُشِف لزُحَل ايضاً قمرٌ تاسع وهو يقرب من قمر المشتري في الحجم الا ان فلكهُ وراء ابعد اقمار زحل فهو وقمر المشتري على طرفي نقيض . وهو يبعد عن السيار مسافة ٧٤٥٠٠٠٠ ميل مع ان القمر الابعد لا تزيد مسافتهُ عن السيار على ٢٤٥٠٠٠٠ ميل فبينهُ وبين القمر الابعد نحو ٥٠٠٠٠٠٠ ميل وهي خمسة اضعاف المسافة التي بين القمر الابعد والذي يليهِ ولذلك شُكَّ في كونهِ قمراً وفي رأي بعضهم انهُ نيزكٌ عظيم اعتقلهُ السيار وهو شاردٌ في عُرض الفضآء فدار من حولهِ والله اعلم

دلالة الاقوال على الصفات والافعال

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف

(تابع لما قبل)

(٢ً) من تخالف اقوالهم صفاتهم وافعالهم

من هؤلآء حسّان بن ثابت فانهُ كان جباناً كما روى الابشيهي في المستطرف ومع ذلك هو الذي قال يعيّر الحارث بن هشام بفرارهِ يوم بدر

ان كنتِ كاذبة الذي حدّثتِني فنجوتُ منجي الحارث بن هشامِ
ترك الاحبّة لم يقاتل دونهم ونجا برأس طِمِرّةٍ ولجامِ

مع انَّ الحارث المذكور يعتذر عن فرارهِ بقولهِ

والله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مهري باشقر مزبدِ
فصرفت عنهم والاحبةُ فيهمِ طمعاً لهم بعقاب يومٍ اسودِ

ومنهم عبَّاد بن المرزَّق هجا ابن النطَّاح الحنفي على بخلهِ بقولهِ

من يشتري مني أبا وائلٍ بكر بن نطّاحٍ بفلسينِ
كأنما الآكل من خبزهِ يأكلهُ من شحمة العينِ

وابن النطاح هذا هو القائل

ولو لم يكن في كفهِ غير نفسهِ لجاد بها فليتَّق الله سائله

ومنهم ابو عمرو بن رهبون الدَّستُميسَاني الف كتاباً في مدح البخل واهداهُ الى الحسن بن سهل فوقَّع لهُ بقولهِ « لقد مدحت ما ذمَّ الله وحسَّنتَ ما قبَّح وما يقوم لفساد معناك صلاح لفظك وقد جعلنا ثوابك قبول قولك فما نعطيك شيئاً » . وابن رهبون هذا هو القائل من قصيدة

فما العزُّ الَّا أن تجودَ بنائلٍ ولا الأخُ الآمن بهِ الخُلُق العالي

ومنهم ابن أرطاة المشهور بمعاقرتهِ للخمرة مثَل امام سعيد بن العاص أمير المدينة فقال لهُ ألستَ انت القائل

سبيَّةٌ من قُرَى بيروت صافيةٌ أو التي سُبيت من أرض بيسانِ
انّا لنشربها حتى تميل بنا كما تمايلَ وسنانٌ بوسنانِ

فانكر ابن ارطاة نظمهُ وقال « معاذ أن اشربها وانعتها »

ومنهم ابن الدهان الذي مات شاباً ولم يحنِ الكبر ظهرهُ يقول

وعهدي بالصبا زمناً وقدّي حكى ألف ابن مقلة في الكتابِ
فصرتُ الآن منحنياً كأني افتّش في التراب على شبابي

ومنهم يعقوب بن السكّيت سأَلهُ المتوكل ايما أحب اليك ابناي هذان أم الحسن والحسين فقال « والله ان قنبراً خادم علي بن أبي طالب خيرٌ منك ومن ابنيك » فأمر بسلّ لسانهِ . مع انهُ قبل ذلك بقليل انشد المتوكل وهو منصرف عن مجلسهِ

يصاب الفتى من عثرةٍ بلسانهِ وليس يصاب المرء من عثرة الرجلِ
فعثرتهُ في القول تذهب رأسهُ وعثرتهُ بالرجل تبرا على مهلِ

فأجازهُ على البيتين بخمسين ألف درهم ثم لم يلبث ان امر بسلّ لسانهِ لما خالف بين قولهِ وفعلهِ

ومنهم ابن زُمرُك الاندلسي سعى بقتل استاذهِ لسان الدين بن الخطيب المشهور فلم يخف الله كما قال

لقد علم الله اني امرؤٌ أجرّر ذيل العفاف القشيبْ
وقيلَ رقيبك في غفلةٍ فقلتُ أخاف الاله الرقيبْ

ولم يراع عهد الحب كما قال

معاذ الهوى ان اصحب القلب سالياً وان يشغل اللوّامُ بالعذل باليا
دعاني اعطي الحبَّ فضل مقادتي ويقضي عليّ الوجد ما كان قاضيا

فعُوقب بان قُتل بين اهلهِ مع ولدين لهُ وهو يطالع في احدى الليالي

ومنهم ابو الاسود الدُؤَلي وقد خاطب امرأتهُ بعد ان طلّقها بقولهِ

أريتُ امرءًا كنت لم أبلُهُ أتاني فقال اتخذني خليلا
وألفيتُهُ حين جرّبتُهُ كذوب الحديث سروقاً بخيلا
ألستُ حقيقاً بتوديعهِ وإتباع ذلك صَرْماً طويلا

وهو المشهور ببخلهِ كما مرَّ بك قُبيل هذا بل هو القائل في ابياتهِ المشهورة

لا تنهَ عن خلُقٍ وتأتي مثلهُ   عارٌ عليك اذا فعلتَ عظيمُ

ومنهم أبو العتاهية فانهُ كان يتظاهر مع طمعهِ بالقناعة حتى قيل انهُ اشعر الناس واصدقهم بقولهِ

ألم ترَ أن الفقر يُرجى لهُ الغنى   وأن الغنى يُخشى عليهِ من الفقرِ

ومنهم ابو الطيب المتنبي اذا صحَّ ما نسب اليهِ من خوفهِ من غمامتهِ وهو قد ملأ ديوانهُ بمدح الشجاعة ووصف الابطال المجرَّبين وهو الذي يقول

أمثلي تأخذ النكبات منهُ   ويجزع من ملاقاة الحِمامِ

ولو برز الزمانُ اليَّ شخصاً   لخضَّب شعر مفرقهِ حسامي

اذا امتلأت عيون الخيل مني   فويلٌ في التيقُّظ والمنامِ

وقد رأينا مادحهُ واقفاً أمامهُ وهو يسألهُ كم أمَّلت منا على مدحك . قال عشرة دنانير . فقال لهُ « والله لو ندفت قطن الأرض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقاً » . ورأيناهُ يزن عشرة آلاف درهم نالها جائزة على قصيدة ويضعها في كيس ختمهُ واودعهُ خزانتهُ وبينما هو عائد الى مجلسهِ رأى بين الحصير قطعةً مقدار ربع درهم فعالجها بأظافيرهِ وهو ينشد قول ابن الحطيم

تبدَّت لنا كالشمس تحت غمامةٍ   بدا حاجبٌ منها وضنَّت بحاجب

الى أن اخرجها فأعاد الكيس وفضَّ ختمهُ ووضعها فيهِ . كلُّ ذلك بمرأى ومسمع من جماعةٍ يعرف انهم يذمُّونهُ مع أنهُ هو القائل

كفانيَ الذمَّ انني رجلٌ   اكرمُ مالٍ ملكتهُ الكرَمُ

يجني الغنى للئام لو عقلوا　　ما ليس يجني عليهم العُدُمُ
همُ لاموالهم ولسنَ لهم　　والعار يبقى والجرحُ يلتئمُ

وكأنهُ مهدّ لنفسهِ العذر بقولهِ

وما كلٌّ بمعذورٍ ببخلٍ　　ولا كلٌّ على بخلٍ يُلاَمُ

(٣) من تدلّ اقوالهم على صفاتهم وافعالهم مرة وتخالفها أخرى

هذا أبو العلآء المعرّي نراهُ يتردّد في صحة البعث اذ يقول

ألا لا أترك الصهبآء نقداً　　لما وعدوهُ من لبنٍ وخمرِ
حياةٌ ثم موتٌ ثم حشرٌ　　حديث خرافةٍ يا أمَّ عمرِو

ثم نراهُ يقطع بصحتهِ وهو يرثي أباهُ من قصيدة يخاطبهُ فيها بقولهِ

لعلك في يوم القيامة ذاكري　　فتسأل ربي ان يخفّف من إثمي

ويصرّح بذلك ايضاً في مرثيتهِ المشهورة اذ يقول

خُلِق الناس للبقآء فضلّت　　أمةٌ يحسبونها للنفادِ
انما يُنقلون من دار أعمالٍ　　م الى دار شقوةٍ أو رشادِ

ثم يعود الى الانكار في قولهِ

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهةً　　وحُقّ لسكّان البريّة ان يبكوا
وتحطمنا الايام حتى كأننا　　زجاجٌ ولكن لا يعاد لنا سبكُ

فلما سمع هذا ابن كدية القيرواني ردَّ عليهِ بقولهِ

كذبتَ وبيتِ الله حلفةَ صادقٍ　　سيسبكنا بعد الثرى من لهُ الملكُ
ونرجع اجساماً صحاحاً سليمةً　　نعارف في الفردوس ما عندنا شكُّ

وكذلك ابن جُبير الرحّالة البلنسيّ المشهور قال حاثّاً على الاسفار والاقدام

بنفسك صادم كلّ أمرٍ تريدهُ　　فليس مضآء السيف الاّ بحدّهِ
وعزمَك جرّدْ عند كل مهمّةٍ　　فما نافعٌ مكث الحسام بغمدِهِ

ولما كان في بغداد اقتطع غصناً نضيراً من بساتينها فذوى في يدهِ فقال

لا تغترب عن وطنٍ　　واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن اذا　　ما فارق الاصل ذوى

هذا ما سمح لي بهِ ضيق الوقت أعدت فيهِ نظرة التحقيق وعرضتهُ على القرآء الكرام غير خارج في كلامي عما اشار اليهِ كلٌّ من حضرة صاحب العزة اللوذعي احمد بك تيمور الموما اليهِ من قبل والكاتبين المتفننين رزق الله افندي عبود في كلامهِ عن ابن مامية الرومي وامين افندي الحدّاد في كلامهِ الاخير عن البحتري ولعلي اصبت المرمى والله اعلم ٠ انتهى

حمام الزاجل

تقدم لنا في مجلد السنة الاولى من هذه المجلة كلامٌ موجز في كيفية تربية هذا الحمام وتأديبهِ وقد عثرنا اليوم في بعض المجلات العلمية على كلامٍ آخر لا يخلو نقلهُ من فائدة فحصّلنا منهُ ما ياتي

تُقدَّر المسافة التي يقطعها الحمام عادةً بستين الى خمسة وسبعين كيلومتراً في الساعة ولكنهُ كثيراً ما يتجاوز المسافة المذكورة فيبلغ ٩٠ كيلومتراً وربما بلغ ١٠٠ الى ١٢٠ في الاسفار القريبة مع موافقة الحالة الجويّة ٠ واذا كان سفرهُ فوق البحر فقد يبلغ الى ١٥٠ كيلومتراً في الساعة بشرط ان يصادفهُ هبوب ريح شديدة من خلفهِ تدفعهُ الى الامام فيكون مثلهُ والحالة هذه

مثَل المنطاد اذا ساقتهُ الريح في جهة هبوبها . اما اذا كان الجوّ ساكناً فمعظم ما يبلغهُ في طيرانهِ ١٠٨ كيلومترات واذا بعدت المسافة الى حدّ يوم كامل لم يتجاوز ١٠٠ كيلومتر في الساعة

وعلى الجملة فاطول مسافةٍ يستطيع الحمام قطعها من الفجر الى الشفق في يوم من ايام الصيف هي ١٠٠٠ كيلومتر وهي المسافة التي يمكن ان يجتازها بسرعتهِ المعتادة على غير عناء . فاذا كانت ١٥٠٠ كيلومتر لم يقطعها في اقل من خمسة عشر يوماً واذا زادت الى ٢٠٠٠ كيلومتر لم يستطع قطعها الا في ثلاثين يوماً . وعلى كل حال فغاية ما يمكنهُ قطعهُ ٢٢٠٠ كيلو متر واما اذا زادت المسافة على ذلك ايضاً فلا يؤمل عودهُ لانهُ يتعرض لكثيرٍ من الاخطار في مبيتهِ ليلاً وان لم يتفق لهُ مثل ذلك ادركهُ الاعيآء والعجز عن الطيران

ولا يخفى ما يقتضيهِ قطع هذه المسافات الطويلة من الجهد العظيم والعمل المتواصل . على ان من تفقد تكوين اعضآء الحمام وتركيب بنيتهِ عرف ما هو عليهِ من الاستعداد لتحمُّل هذه الاسفار الشاقّة فان ريشهُ خفيف متين واجنحتهُ سبطة شديدة العصب وزِمكّاهُ (ذنبهُ) قليلة العرض وثيقة مَرِنة وسائر جسمهِ قويٌّ في خفّة جرم وتوازُنٍ تام

اما طبائع هذا الطائر ففيه الحنوّ والانعطاف الشديد ولذلك يكون شديد التعلق باناثهُ وفراخهِ وقد يظهر فيه شيءٌ من النباهة والذكآء . واعجب ما فيهِ اهتدآؤهُ في الفلوات وفوق البحار على مسافات شاسعة من مثل ما ذُكر مما لا يهتدي فيهِ الانسان الا بالأعلام والسُبُل او بالنجم

والمغناطيس وهو الامر الذي حيّر افكار الباحثين حتى قال بعضهم انهُ من المسائل التي يعجز عن حلها اعظم رجال الندوات العلمية . على ان مثل هذا قد يكون في غير الحمام ايضاً كقواطع الطير والسمك غير ان هذه انما تفعل ذلك بعد ان تختار الوجهة التي تقصدها و بخلاف ذلك الحمام فانهُ اذا اريد حملهُ على السفر بين موضعين نُقل من موطنهِ الى الموضع الآخر في شريجةٍ يُسدّ عليه فيها ويُنقَل في سكك الحديد في اماكن مُقفلَة فلا يرى الطريق التي يجتازها ولكنهُ اذا أُطلِق من المكان الذي يُنقل اليهِ لم يُخطئ الرجوع الى الموضع الذي أُخِذ منهُ . وهذا لا يختصّ بالحمام الذي يُدرَّب على الانتقال في طريق معيّن ولكن الظاهر انهُ طبيعةٌ في الحمام فقد ذُكر ان فرخاً أُخذ مرةً خطأً ونُقِل الى مدى ٢٠٠ كيلومتر وكان لم يخرج قبل ذلك من برجهِ فلما أُفرج عنهُ في الموضع الذي نُقِل اليهِ كرّ عائداً الى موطنهِ الاول

وقد تعددت الآراء في قوة هذه الهداية في الحمام فمن قائلٍ انها ترجع الى حدّة بصرهِ و بُعد مداهُ الا ان هذا انما يجوز في المسافات القريبة التي يمكن ان يتناولها البصر ولكن كيف يُعقَل انهُ بعد ان يبعد مسافة ٢٠٠ كيلومتر يستطيع ان يبصر المكان الذي نُقِل منهُ ومثل هذه المسافة لا يمكن ان يتخطاها بصرهُ ما لم يحلّق في الهوآء مسافة ٣٠٠٠ متر او فوقها مع انهُ لا يرتفع في طيرانهِ اكثر من ١٠٠ الى ٢٠٠ متر

ومن قائلٍ انهُ يهتدي بطبيعة الجوّ وتمييزهِ بين كيفيات مهابّ الرياح فانهُ في فرنسا مثلاً يعرف ان الشمال بارد والجنوب حارّ والشرق يابس والغرب رطب ولا يلزمهُ زيادةٌ على هذا لمعرفة الجهات فالحمامة اذا نُقِلت

من الشمال الى الجنوب تشعر بتغيُّر درجة الحرارة فاذا ارادت الرجوع قصدت الشمال توًّا . وهذا ايضاً من المستبعَدات لان حالة الجوّ دائمة التقلُّب والاختلاف فلا تثبت على ميزانٍ واحد

وقال آخرون ان الحمام يقدّر الساعات فيعيّن الجهة التي يقصدها بالقياس الى موضع الشمس . ويَرِد على هذا انهُ لو عُكِست الجهة التي يسيرُ اليها بان تكون الى غير جهة الشمس لاهتدى ايضاً كما يهتدي في الجهة الاخرى

وذهب غيرهم الى انهُ يهتدي بالمجاري المغناطيسية المنبثّة في الجوّ ذاهبةً في كل وجه فاذا أُطلِق الطائر في موضع يجهلهُ يرتفع في الجوّ ويبحث في المجاري حتى يصادف المجرى الذي يعرفهُ فيجعلهُ وِجهتهُ وبُعد هذا القول لا يخفى

وقال آخرون ان الحمام في اثناء انتقالهِ في القطار الحديدي يستعين بقوة الشمّ على تعيين معالم الطريق اذ لا يخلو كل مكان من رائحة خاصة بهِ فاذا اراد الرجوع تتبّع الروائح التي مرّ بها فاستقراها على عكس ترتيبها الاول . وهذا لا يقلّ غرابةً عما قبلهُ واقلّ ما يَرِد عليهِ ان الحمام كثيراً ما يسافر فوق البحار ولا يُعقَل ان يكون لكل قطعةٍ من البحر رائحةٌ خاصّة يتتبعها

وهنالك اقوالٌ اخر اغرب مما ذكر اضربنا عن نقلها خوف الملل والحاصل ان المسئلة لا تزال محلاً للحيرة وهي اخت مسئلة انقلاب الهرّ في الهوآء مما استفرغ جهد علمآء الطبيعة ووظائف الاعضآء ولم يقفوا منها على طائل

مطالعات

ارتفاع سطح البحر الرومي — رفع المسيو تجريس عدة مذكَّرات الى ندوة العلوم الفرنسوية تُثبِت كلها ان ماء هذا البحر قد ارتفع و بعبارةٍ اخرى ان قعر البحر قد انخفض فغمر المآء اطراف الشطوط والجُزُر . وقد راقب ذلك في عدة اماكن منها جزيرة لوكاد فان هناك جسراً رومانياً طولهُ ١٠٠٠ متر كان يُعبَر عليهِ من الجزيرة الى البرّ اصبح اليوم مغموراً تحت المآء ولم يبقَ منهُ فوق المآء الا مواضع من الحِجار[1] اي السور الذي على جانبيهِ وقد قدّر ان المآء ارتفع هناك مترين وستين سنتيمتراً

ثم انهُ اذا أُخِذ من الجزيرة المذكورة الى جهة ايتيا وُجِد قُبالة هذه الجزيرة بين جزيرتين هناك تُعرَف احداهما بجزيرة القديس اثناسيوس والاخرى بجزيرة القديس قسطنطين رصيف من الحجارة المبنيّة قد غاص ثلاثة امتار تحت المآء . وهو لا بدّ ان يكون قد بُني اعلى من سطح البحر بنصف متر على الاقلّ فيكون البحر قد ارتفع في هذا الموضع ثلاثة امتار ونصفاً

وقد راقب مثل ذلك في مواضعٍ أُخَر من الجُزُر والشطوط المجاورة فوجد ان منها ما ارتفع المآء فيها زيادةً على ثلاثة امتار وهي القديمة ومنها ما ارتفع فيها مترين وستين سنتيمتراً وهي ما كانت من ابنية الرومان اي من نحو الفي سنة

(١) من حجار السطح وهو الحائط القصير يبنى حولهُ يمنع من السقوط

مملكة قديمة بالترنسفال — ذكرت جريدة الفيجارُو ان احد علمآء العاديّات اكتشف في تلك الديار بقايا معابد وقصور فخيمة وجد عليها نقوشاً تدلّ على انها بُنيت في عهد السلائل الاولى من فراعنة مصر وان ملكهم كان ممتدًّا الى ما ورآء نهر زَمْبازْ . وفيما ظهر لهُ ان احد تلك المعابد بُني قبل الميلاد بالف ومئتي سنة

فوائد

ترياق جديد — ذكرت مجلة الكيميآء الصناعية الفرنسوية الفائدة الآتية قالت دُعي احد البياطرة (اطبآء الدوابّ) لمعالجة خيل قد تسممت بالحامض الفينيك فوصف لها على سبيل الامتحان ان تُسقَى زيت الزيتون فشُفيت . لكن تبيّن بعد الفحص ان الذي أُعطي لها انما كان زيت التربنتينا خطأً فكان هو الترياق الشافي من السمّ المذكور . واتفق بعد ذلك ان حدّاداً اراد ان يشرب كأساً من الجِعَة (البيرة) فغلط عن زجاجة الجعة الى زجاجة كان فيها حامض كربوليك . فجرّعهُ البيطار مقداراً من زيت التربنتينا وكان الحدّاد قد دخل في غيبوبة من فعل السمّ فأفاق في اقلّ من ساعة وعاد صحيحاً

قالت ولا يبعد ان يكون زيت التربنتينا نافعاً في غير هذين النوعين من الموادّ السامّة فلا بأس بتجربتهِ في كل حالٍ من احوال التسمم

صفة لمنع الأَرَق — وصف لذلك بعض الاطباَء ان يؤخذ ملاَءة ويُبَلّ نصفها بالمآء البارد ويُجعَل النصف المبلول على القفا ثم يُثنى النصف الجافّ فوق المبلول منعاً لسرعة تبخُّر المآء فيشعر من ذلك بارتياح ويبرد الدماغ ولا يبطئ النوم ان يدبّ

فخّ للفأر — افضل فخّ للفأر ان يؤخذ اناَء من الفخّار ويُملأُ الى نصفهِ مآء ثم تؤخذ قطعة من رَقّ الورق ويُشَقّ في وسطها شقّان متقاطعان على شكل صليب وتُشَدّ على فم الاناَء كما يُغطّى بوقال المربّيات ويُبسَط فوقهُ شيء من السكّر او الدقيق او غيرهما فاذا تسلّقت الفأرة الاناَء لتأكل ما عليهِ سقطت في الحال الى باطن الاناَء فتختنق لا محالة

ههنا العجب

وردنا من احد وكلاَئنا بالديار الشامية ما يستفاد منهُ ان بعض المتحمسين من آباَئنا كهنة الروم الكاثوليك غير راضين عن الضياَء لنشرهِ الرسالة المتعلقة بقضية الجزويت المشهورة مع المسمى توفيق القزح[1] لانهم عدّوا ما فيها من اظهار بعض مفاسد الجزويت قدحاً في العقائد الدينية (كذا ...) . فوقفنا عند تلاوة هذا القول ونحن بين الاستغراب تارةً لمبلغ فهم اولئك الافاضل والاسف طوراً لما آلت اليهِ حال بعض الطوائف الشرقية في هذه الايام بفضل رعاتها ومدبّريها . ولو أن اولئك المنكرين

(١) انظر الجزء الاول من هذه السنة صفحة ١٨ وما يليها .

علينا نشر الرسالة المذكورة اطّلعوا على منشور البابا لاون الثالث عشر الصادر سنة ١٨٩٤ لعلموا ان الذي كان يجب عليهم ان يفعلوهُ غير تلك الفهاهة التي بلّغناها عنهم والتي لم نسطرها هنا الا بمداد الخجل حتى من الجزويت انفسهم لان الشخص الذي اقتنصوهُ من بين ايديهم والذي عليهِ مدار الكلام في تلك الرسالة هو من طائفة الروم الكاثوليك نفسها ...

ولكي يكونوا على بيّنةٍ مما نشير اليهِ ننقل لهم الكلام المتعلق بهذه المسئلة وامثالها في المنشور وهو هذا بالحرف

« المادة الاولى — كل مرسلٍ لاتيني سوآء كان من الاكليروس العالمي او القانوني يسوق احد الشرقيين بمشورتهِ او بمساعدتهِ الى اعتناق الطقس اللاتيني فبمجرّد الفعل نفسهِ لا يصير فقط مربوطاً عن ممارسة الالهيات ويقع في سائر العقوبات التي توجبها الرسالة « Demandatam »[1] بل يجرَّد ويُطرَد من وظيفتهِ . وحتى يبقى هذا الرسم ثابتاً ووطيداً نأمر ان تُعلن منهُ نسخة باللغة العاميّة في كل كنيسة من كنائس اللاتين

« المادة العاشرة — لا يجوز لجمعية رهبان او راهبات ذات طقس لاتيني ان تقبل بين اعضآئها احداً من الشرقيين ما لم يكن مستصحباً رسالة شهادة من اسقفهِ » انتهى

ولا حاجة لان نزيد على ايراد هذه النصوص وهي كافية لان تعرّفهم ايُّ غريمَيهم أَبَرُّ بالدين وبهم والسلام على من اتّبع الهدى

---

(١) هو عنوان منشور سابق بالمعنى نفسهِ للبابا بنادكتوس الرابع عشر

اسئلة واجوبتها

سملاي — ارجو الجواب على السؤالين الآتيين

(١) كنت بالامس اطالع في حياة الحيوان للدميري فوجدتهُ يقول في صفحة ١٩ من الجزء الاول ان الارنب يكون عاماً ذكراً وعاماً انثى فكيف ذلك

(٢) يقال نام فلان نومة عبُّود فما معنى هذا المثل طه موسى

الجواب — اما المسئلة الاولى فمن تخاليط الدميري على عادتهِ وكم لهُ مثلها بل اغرب منها في الكتاب . واما المثل فقيل اصلهُ ان رجلاً يقال لهُ عبُّود قال لقومهِ اندبوني لاعلم كيف تندبوني اذا متّ ثم نام فلم يقم من نومتهِ . وقيل هو عبدٌ اسود كان حطّاباً فعبر في محتطَبهِ اسبوعاً لم ينم ثم انصرف فبقي اسبوعاً نائماً فضُرِب بهِ المثل . وقيل غير ذلك مما لا فائدة من نقلهِ

آثار ادبيّة

تاريخ السودان — هو مؤلَّفٌ جليل غُني بوضعهِ حضرة الفاضل الالمعيّ عزتلو نعوم بك شقير رئيس قلم وكالة الحكومة السودانية بمصر استوفى فيهِ الكلام على جغرافية هذا القطر ووصف تربتهِ ومعادنهِ ونباتهِ وحيوانهِ وطبائع اهلهِ وانسابهم ولغاتهم واديانهم واخلاقهم وعاداتهم وكل ما يتعلق بهم الى ما لم يسبقهُ اليهِ سابقٌ من كتّاب العرب ولم يستوفهِ احدٌ

من كتّاب الاعاجم. وقد تتبع تاريخ هذه البلاد ومن استوطنها من الاجيال من اقدم عهد وما تقلّب عليها من الدول واختلف عليها من الاطوار في عصرٍ عصرٍ الى هذا اليوم

والكتاب ينقسم الى ثلاثة اجزآء الاول في جغرافية السودان والثاني في تاريخ السودان القديم والثالث في تاريخ السودان الحديث وفي هـذا الاخير تاريخ الفتح المصري والثورة المهدوية وسياقة ما كان من الحوادث منذ سنة ١٨٢١ على عهد المغفور لهُ محمد علي باشا الى سنة ١٩٠٤ الحاليّة. وقد حقق كل ما ذكرهُ فيهِ من الوقائع بنفسهِ ايام كان في السودان مرافقاً للجيش المصري وقد شهد اكثر تلك الوقائع وصحب الجيش الى ان تمّ لهُ آخر فتحٍ من فتوح السودان ومازج اهل تلك البلاد واختبر عاداتهم واخلاقهم واخذ عن ثقاتهم ما علموهُ من تاريخ بلادهم بحيث كان هذا الكتاب نهاية ما تتطلبهُ ثقة المطالع

اما لغتهُ ففي غاية السهولة والسلاسة بيّنة المنهج واضحة المغازي جرى فيها على اللغة العصرية مع اختيار اجزل الالفاظ وافصح التراكيب بحيث لا ترتفع عن فهم العامّة ولا تنحطّ الى ركاكة بعض الكتاب المعاصرين. وقد ضمّنهُ كثيراً من الاقاصيص والنوادر التاريخية والتقليدية مما يرتاح اليهِ المطالع وفيهِ فضلاً عن ذلك كثيرٌ من التحقيقات العلمية في المباحث الجغرافية والتاريخية من وصف ضروب النبات والحيوان ثم الكلام على العشائر المختلفة المؤلفة منها قبائل السودان وبيان اصل كلٍّ منها ووصف ملامحها وقواها العقلية الى غير ذلك.. وعلى الجملة فان هذا المؤلّف من اجلّ

ما كُتِب في هذا العهد واوسعهِ فائدةً واثبتهِ اثراً

والكتاب حسن الطبع جيّد الورق يقع في نحو ١٢٣٠ صفحة كبيرة وفيهِ ما يقرب من ٥٠ رسماً من صُوَر الاعيان ووقائع الحرب وغيرها . وقد شفعهُ بفهرسين احدهما مُجمَلٌ يتضمن سرد الفصول على ترتيبها في الكتاب والآخر مفصّلٌ ذكر فيهِ كل ما يمكن ان يُبحَث عنهُ في اثناء الفصول مرتباً على حروف المعجم

ولا يخفى ارتباط السودان بمصر اليوم بعد ما خفقت عليهِ اعلام الامن واصبحت ارضهُ ممهدةً للاستيطان والاستعمار والطُرُق اليهِ آهلةً بالمسافرين بحيث صار مما يهمّ كل مصريٍّ الوقوف على جغرافيتهِ وتاريخهِ واخلاق اهلهِ وما فيهِ من نباتٍ وحيوان ومعدن وغير ذلك

فنثني على حضرة مؤلفهِ الفاضل بما هو اهلٌ لهُ ونحضّ المطالعين على اقتنائهِ وهو يباع في مكتبة المعارف وسائر المكاتب المشهورة بالقاهرة وثمنهُ ستون غرشاً مصرياً واجرة البريد الى الخارج ثمانية غروش

دليل الفردوس — هو عنوان كتابٍ جليل تأليف حضرة الاب الفاضل الخوري افرام الابيض اودعهُ طائفةً مما انشأهُ من الخُطَب والمواعظ وهو ينطوي على نحو ثلاثين خطبةً مطوّلةً افرغها في احسن قالبٍ من الفصاحة وضمّنها ابلغ النصائح لمن يبتغي السلامة في الدنيا والنجاة في الآخرة . فنثني على حضرتهِ اطيب الثناء لما تجشمهُ في وضع هذا الكتاب ونرجو لهُ تحقيق ما توخى بهِ من النفع وايلاءهُ جزيل الثواب

فكاهات

السكولونيل جيرار[1]

— ٣ —

وعاد جيرار الى تتمة حديثهِ فقال

ان ما قصصتهُ عليكم ايها الاخوان لا يوازي ما سأُخبركم بهِ الآن عن عملٍ خطير قمت بهِ يرغبني في تلاوتهِ عليكم ما اراهُ في وجوهكم من علامات الاصغاء والارتياح ولكني اشعر في نفسي بانقباض عند ما اقابل حياتي الجندية الماضية المملوءة من المخاطر والاعمال المجيدة بحياتي الحاضرة الساكنة الهادئة . ومما ذكرني ذلك الاستعراض الذي شهدتهُ اليوم في ساحة المدينة فان شريطة الوسام التي ترونها على صدري سهلت لي الدخول الى افضل محل ومنهُ اشرفت على جميع الكتائب والفرق . وقد استحسنت مسير المشاة وهجومهم فلم اتمالك ان رفعت قبعتي لهم ثم اتت رجال المدفعية فحييتهم ايضاً ثم المهندسون فالفرسان فرجال الحراب فالمدرَّعون الى آخر الجيش . وكنت ارفع قبعتي لكل فرقةٍ واشعر ان قلبي يرتفع ايضاً من مقرّهِ كأنهُ يود ان يفارق جسمي الذي اضعفتهُ السنون ويلحق بامثالهِ من قلوب اولئك البواسل . ومما زاد في تأثري مرور فرقة الهوسار وهي نفس فرقتي القديمة التي كانت تخوض غمار الموت وراء كولونيلها الفتى فما وقعت عيني على نظامها وهجومها حتى شعرت ان السنوات العديدة التي مرت بي قد طارت فجأةً عن عاتقي وتخيلت نفسي على ما كنت عليهِ قبل اربعين سنة فلم اعد ارى شيئاً امامي ورفعت عصايَ وناديت باعلى صوتي ندآئي الحربي المعتاد « الى الامام — اتبعوني — ليحيَ الامبراطور »

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ولكن يا للاسف ان صوتي الذي كان يرعد من اول الكتيبة الى آخرها لم يكد يُسمع اليوم ويدي التي كانت اعصابها من فولاذ ونار اصبحت لا تكاد تحمل ثقل العصا . ورأى رجالي حماستي فهتفوا لي هتاف السرور حتى ان الامبراطور نفسهُ ابتسم وحنى رأسهُ مسلماً . اما انا فلم اغترّ بهذه المجاملة فحزنت على شبابي الغابر وقوتي المتفانية وبقيت نهاري كئيباً كاسف البال . ولكن لاداعي لازعاجكم بما يؤلمني فاسمحوا لي بزجاجة خمر برغندي فاني احوج اليها الآن من نبيذ بوردو لتزيل انقباضي وتنير وجهي

ولما حضرت الزجاجة افرغ جيرار نصفها في كأسهِ وتجرعهُ دفعة واحدة ثم مص شاربيهِ وأوقد لفافةً واخذ في حديثهِ فقال

لما عادت جنودنا من موسكو بعد تلك الحادثة المشهورة كان مجرد النظر الى سيرها يفتت الاكباد ويذيب الجماد لانهُ لم يبقَ من تلك الجيوش الكثيفة سوى كتائب قليلة متفرقة تسير افرادها الواحد بعد الآخر حانياً ظهرهُ مطرقاً برأسهِ الى الارض آسفاً على الانتصار العظيم الذي منعتهُ من الحصول عليهِ الطبيعة والعناصر والاقدار . وكانت طريقهم في وسط السهول الواسعة المكسوة بالثلج لا يرون فيها الابقع الدماء والاعضاء المبتورة ومخلفات الحرب وكأن تلك الحالة نزعت كل سرور من قلوب الجنود فلم يكن فيهم من ينبس ببنت شفة وساد السكوت على تلك البقعة حتى ان الثلج اخفى صوت وقع الاقدام ودوس الحوافر . وكان يظهر على جوانب الخط من حين الى آخر كتائب من فرسان القوزاق فيلبثون ماضين في طريقهم وربما تتعجبون من عدم هجومهم على تلك الشراذم الباقية من رجالنا ليفنوهم دفعةً واحدة ولكن لا يخفى عليكم ان زمهرير البرد القارص وثلوج روسيا لم تكن لتطفئ الحرارة المضطرمة في قلوب الفرنسويين ولا سيما لان معهم المارشال ناي ذلك البطل الملقب بالاسد الذي كانت جيوش القوزاق ترتعب من مجرَّد نظرهِ والذي كان صوتهُ يفوق دوي المدافع وطلقات البنادق وقد كانت قبعتهُ في ذلك الحين هي العلم الذي تجتمع اليهِ جميع ابطال فرنسا

اما انا وفرقتي الموسار فلم نذهب مع الجيش الى موسكو ولكنهم تركونا في مدينة بورودينو للمحافظة على خط الرجوع . ولم افهم كيف استطاع الامبراطور ان يتقدم الى موسكو بدوننا وقد دلني عملهُ هذا على ان الاضطراب كان قد بدأ يؤثر في دماغهِ وان نجم سعادتهِ اصبح على وشك الافول . ولما كان اهم واجبات الجندي الطاعة بقيت في بورودينو وانقطعت الى ترتيب الفرقة واعدادها بمؤونتها وذخائرها وخيولها . فلما عاد ناي بالشراذم التي ذكرتها كانت فرقتي من اتمّ الفرسان اهبةً فانضممنا الى ناي . ولما رآني صافحني وقال . . . ولكن ما الفائدة من اعادة ما وجّه اليّ من كلمات الاطرآء والمديح فاكتفي بأن اقول انهُ وكل اليّ حراسة جيشهِ وكف شر القوزاق الذين كانوا يتبعوننا كالذئاب منتظرين الفرص للايقاع بمن يتخلف منا على طول خط مسيرنا

واشتدّ علينا الضيق بين ويلفا وسمولنسك فاننا قاومنا البرد وتحامينا القوزاق اما الجوع فلم يعد في امكاننا دفع شرهِ .واذ ذاك استدعاني المارشال ناي اليهِ فوجدتهُ في عربة كان ينام فيها فلما شعر بقدومي نظر اليّ بوجهٍ عليهِ علامات القلق والكمد وقال ايها الكولونيل جيرار ان الرجال يتضورون جوعاً فيجب ان تقوتهم . فقلت على الفور دونك الخيول يا مولاي . قال لم يبقَ منها سوى خيول فرقتك وهذه لا يمكننا الاستغنآء عنها . فقلت خذ خيول رجال الموسيقى لان هؤلآء لا يحاربون ويمكننا المسير بدونهم . فتبسم واخذ يديَّ فهزها وقال عافاك الله يا جيرار فأنت مثلي لا تعرف معنًى لكلمة اليأس . ثم تناول صحيفةً فتحها امامي وقال انظر . وكانت الصحيفة خريطةً دلني بأصبعهِ على نقطةٍ فيها وقال هذه مدينة منسك وقد بلغني من جاسوس روسي ان بهذه المدينة مخازن عديدة مملوءة قمحاً فأودّ منك ان تذهب بالعدد الذي تراهُ موافقاً من الرجال وتحضر لنا ما تيسر من القمح فتقابلنا قرب سمولنسك فاذا حبط سعيكم لم يكن فيهِ زيادةٌ على خسارة بعض افراد واذا نجحتم فانكم تأتون بحياة جديدة للجيش كلهِ . وعلمت انهُ يقول ذلك على خلاف اعتقادهِ لانهُ كان يعد خسارة الجيش بأسرهِ اهون عليهِ من خسارتي وخسارة رجالي ولكني لم

اقف عند ذلك وانصرف فكري الى خطورة المهمة التي كلفنيها والشرف الذي انالهُ اذا قضيتها فأجبتهُ بكلام جعلهُ يضمني الى صدرهِ اعجاباً بيسالتي واقدامي وقال اذهب ايها الحبيب لا عدمتك من رفيق

وقد رأيت الاحزم ان استصحب معي بعض الرجال الاشداء واجعل اعتمادي على القوة لا على الكثرة فاخذت كتيبة من رجالي وثلاثين فارساً بولونيًّا وخرجنا من المعسكر في نفس تلك الليلة ووجهتنا الجنوب الى منسك . ولحسن حظنا كان القمر في المحاق فانسللنا تحت ستار الظلام وكنا نرى عن بعدٍ نيران فصائل من القوزاق فمال رجالي الى ان يوقعوا بهم وكدت اجاريهم في ذلك لولا رغبتي في الرجوع العاجل قبل ان يضر الجوع بالجيش . فتابعنا المسير وادركنا الفجر امام غابةٍ دخلناها للاستراحة وجعلت اتفقد الموضع الذي بلغناهُ فوجدت اولاً اننا بعيدون عن كل خطر من جهة الجيوش الروسية التي اجتزنا حدودها بدون ان يُشعَر بنا . ثم رأيت بالقرب منا قرية صغيرة في اولها بيت كبير والى جنوبيها على مسافة غير بعيدة مدينة مكتظة بقبب الكنائس عرفتها انها منسك . فاخبرت رجالي بغرضنا وموقعنا وحالتنا فلم يتمالكوا ان صاحوا فرحاً وطرباً . ولما اقتربنا من البيت الذي في اول القرية رأيت امام بابهِ جواداً مسرجاً وقبل ان ابلغ اليهِ اندفع من البيت رجل فامتطى صهوتهُ باسرع من لمح البصر واخذ يعدو في ذلك السهل بسرعة جعلت قطع الثلج تتطاير تحت حوافر الجواد كانها شرر الكير . وتبينت الراكب فعرفت من لباسهِ انهُ ضابط روسي وادركت للحال انهُ اذا نجا منا لا بد ان ينبه كل تلك المقاطعات فتعرقل مسعانا . فاعملت في خاصرتي فرسي المهماز وكنت راكباً احدى كرائم خيولي واسمها فيوليت وتحققت انني ان لم ادركهُ انا فلن يقدر سواي على ذلك . وما زلت مجدًّا في اثرهِ حتى قاربتهُ وكان يلتفت الى جهتي مرةً بعد مرة كانهُ يستشير افكارهُ في امر ثم اخذ من منطقتهِ غدارةً واطلقها عليَّ فمرت رصاصتها قرب رأسي . وقبل ان يتمكن من اخذ سيفهِ كنت قد صرت بحذآئهِ فامسكتهُ من عنقهِ بيد حديدية وجذبتهُ اليَّ فمر جوادهُ من تحتهِ وسقط الى الارض وكنت قد وقفت فرسي فوثبت

عنها وانا لا ازال قابضاً على عنقهِ . ثم ادركتني جنودي البواسل ورأى ان لا مناص لهُ منا فاخذ من جيبهِ ورقة صغيرة مطوية وضعها في فيهِ بقصد ابتلاعها ولكن نسي المسكين ان عين جيرار لا يخفى عليها مثل هذه الامور فزدت الضغط على عنقهِ واخرج بعض الجنود سكيناً ادخلهُ بين اسنان الاسير فاجبرناهُ على فتح فمهِ واخذت الورقة وقد تحقق لي انها رسالة يهمنا امرها . فكاد يجن غيظاً واسفاً ولكنهُ تمالك وقال ما كنت اظن ان رجال الفرنسيس تهتم بالاطلاع على رسالة من عاشق الى عشيقتهِ . فتبسمت وقلت لهُ اعذرنا على فعلنا ايها الشجاع وتيقن انني اذا لم ارَ في الرسالة ما يهم جنودنا اعدتها اليك بمزيد الاكرام وكتمت ما فيها حتى عن نفسي . ولما رأيت رجالي قد تولوا المحافظة عليهِ فتحت الرسالة فرأيت فيها سطراً واحداً باللغة الروسية لم اتمكن من قرآءتهِ وادرتها على رفاقي فلم يوجد بينهم من يستطيع ان يفهم منها سوى انها موجهة الى الجنرال بلاتوف . ثم سألت الاسير عن اسمهِ فقال الكسيس باراكوف واخبرني انهُ كان في زيارة حبيبتهِ في القرية وهو عائد الى منسك . فقلت لهُ اننا قاصدون تلك المدينة ايضاً فنتشرف بصحبتك بعد ان تستريح هنيهة في القرية . فتململ الضابط ثم هدأ روعهُ فمشى معنا ذليلاً . ودخلنا اول بيت صادفناهُ فوجدنا فيهِ رجلاً قبيح الخلقة لم يستقبلني بما ينبغي من الادب وكان لهُ ابنة وحيدة هي عكسهُ في الصورة وحسن الخُلق حنطية اللون ناعمة الجلد سودآء الشعر ولها عينان لم انظر اجمل منهما في حياتي . ولما وقع نظري عليها علمت للحال انها اصبحت لي . ولم يكن الموقف موقف غرام غير اني كنت جائعاً فاحضرت لي زاداً وبينما كنت آكلهُ وقفت تحادثني فعلمت ان اسمها صوفيا وعلمتها ان تناديني باسمي . ورأيتها حزينة النفس فاجتهدت في تسليتها وتعزيتها وضممتها الى صدري فمسحت بوجهي الدموع التي بدأت تتساقط من مقلتيها . وسألتها عن سبب بكآئها فقالت اني ابكي لحالة اسيركم هذا فانهُ اذا كانت جنودكم انفسها تتضور جوعاً فلا شك انهُ سيلاقي عندكم شر ميتةٍ من الجوع والبرد ولقد رأيت في وجهك اثراً للشفقة والحنو افلا تهب لي هذا الاسير . فتبسمت وقد لاح لي امرٌ عزمت على اتمامهِ وقلت لها حباً وكرامةً .

ثم نظرت الى الاسير فقلت لهُ اني اطلق سراحك اكراماً لهذه الفتاة بشرط ان لا تغادر هذا البيت قبل اربع وعشرين ساعة . فوعدني بذلك وقد امتلأ فمهُ بالشكر لي فقلت لهُ اذهب راشداً ولا تشكرني على ما فعلت بل اظهر عرفانك لهذه المنة لاول جندي فرنسوي تراهُ يحتاج الى مساعدتك . ولما خرج من امامي ابرقت اسرة صوفيا ونظرت اليَّ شاكرةً فقلت لها قد وهبت لكِ ما سألتِ فأودُّ منكِ في مقابلة ذلك ان تعلميني شيئاً من لغتكم . قالت افعل ذلك بكل سرور . قلت فلنبتدئ بقرآءة هذه الوُرَيقة واخرجت من جيبي الرسالة التي اخذتها من الضابط . فلما وقع نظرها عليها وكانت لا تزال مسرورة باطلاق الاسير قرأتها بدون تروٍّ وقالت معناها « اذا بلغ الفرنسويون منسك خسرنا كل شيء » . وما كادت تتم العبارة حتى امتقع لونها فصاحت آه ماذا فعلت فقد خنت وطني . اما انا فتبسمت وقلت لا يشقّ ذلك عليكِ فلستِ بأول شخص امتلكهُ جيرار . ولم يكن الوقت يسمح لي بأن اغازلها فتركتها وناديت رجالي للتقدم الى منسك وقد تحققت من الرسالة ان منسك لا حامية فيها وايقنت ببلوغ المرام . ولما بلغنا المدينة توجهنا رأساً الى دار بلديتها حيث القمح المخزون فتركت جنودي خارجاً ودخلت مع اثنين من الضباط فقط . ولكن لم تطأ اقدامنا داخل البناية حتى ظهرت امامنا فرقة من الجنود الروسية قابلتنا للحال بطلق ناري من بنادقهم فسقط رفيقايَ الى الارض ودخلت رصاصتان في ردآئي واخرى في قبعتي . فصحت بجنودي وقد ارتددت اليهم لكنني لم أبلغهم حتى رأيت ابواب البناية تفتح ويخرج من جميع جهاتها كتائب من القوزاق سدوا علينا المنافذ وحاولنا اختراق الطريق فلم نفلح لكثرة عددهم وما كدت اصل الى فرسي حتى اجتمع عليَّ بعض جنودهم فألقوني في الارض واخذ احدهم رأسي بين يديهِ فضرب بهِ الارض مراراً حتى عدمت رشدي . ولما أفقت وجدت نفسي أسيراً في ايديهم ورأيت اكثر من نصف رجالي مطرَّحين على الثرى والباقين محاطين بالجنود الروسية فوددت أن انتحر لو كان بيدي سلاح تخلصاً من تلك الاهانة التي نزلت بي . وتذكرت المارشال ناي واعتمادهُ عليَّ ثم سقوطي في هذا الفخ بدون تروٍّ فانحدرت

دمعةٌ محرقة على وجنتي ورآها آسري وكان وحشاً ضارياً بصورة انسان قبيح المنظر فقهقه ضاحكاً وقال لم اكن أظن ان ذلك القائد الكرسكي يأتي ليفتتح بلادنا بصبيان كبار يبكون عند الشدة . فتململت تأثراً ونظرت اليهِ باحتقار وقلت لو ساعدني الحظ لمقابلتك شخصياً ونحن متساويان كنت أجيبك على كلامك هذا . فقال لا أمل لك في ذلك لان رئيسنا لا يبقيك هنا الى الصباح . ولما قال ذلك صدرت الاوامر فأحاطوا بالاسرى واركبوني على فرسي فيوليت وكأنها عرفت ما أصابني فظهر عليها الانكسار الشديد وقادونا الى خارج المدينة . فسرنا في ذلك السهل الثلجي بمنتهى الحزن وزاد على ذلك تصرف الضابط الفظ فانهُ كان يرفع سوطهُ احياناً ويضرب من تخلف من عساكرنا كأنهُ يقود قطيعاً من الحيوانات العجم . وأفضى بنا المسير عند منتهى النهار الى قريةٍ علمت انهم ينوون المبيت فيها ومررنا امام بيتٍ عرفتهُ للحال انهُ بيت صوفيا الذي جئتهُ في الصباح ظافراً وفي المسآء أسيراً فأظلمت الدنيا في وجهي . غير ان حالة الجندي لا تكون الا كذلك فيوماً ينتصر ويوماً ينكسر ويكون يوماً في نعيم ويوماً في جحيم وتارةً أميراً وطوراً أسيراً فهو في تقلبٍ دائم لا يثبت فيهِ سوى الشجاعة والشرف

وترجلت الجنود الروسية فامرهم الضابط ان يتفرقوا بالاسرى في المنازل واصدر الاوامر المشددة بالمحافظة عليهم لكي لا ينجو احد . وكان اهل القرية قد تألبوا علينا وهم يرقصون ويعزفون سروراً لفوز جنودهم ورأيت بينهم صوفيا ووالدها . فلما وقع نظرها عليَّ كتمت سرورها ثم اقتربت من الضابط وكلمتهُ بكلام لم اسمعهُ فنظر اليَّ ثم هزَّ رأسهُ بما يشير الى الاباء . ولما ألحت عليهِ كثيراً اقترب مني وقال هذه الفتاة تطلب ان تبيت الليلة في دارها وكنت اوثر ان تبيت في الصحرآء لكي تعتاد منذ الآن مناخ سيبيريا ولكنني سأجيب طلبها بشرط ان يكون سجنك دهليزاً في اسفل البيت وان تعدني بشرفك ان لا تحاول الهرب . قلت لا اقبل لك منةً فلا اعدك شيئاً . قال ستنام اذاً هنا على الطريق وعسى ان ترى في سريرك الثلجي ما يريحك في نومك . وقبل ان يبتعد عني عادت صوفيا الى التوسل والالحاح ثم

قالت لهُ ان هذا الرجل قد امر اليوم في بيتنا الضابط باراكوف ثم اطلقهُ كرماً منهُ فلا اود ان يكون للفرنسوي بين فضلٌ علينا ولا اقل من دهليز نحرسهُ فيهِ يقيهِ قرص البرد والموت . ثم ظهر من البيت باراكوف نفسهُ وكان لا يزال فيهِ حسب وعدهِ لي في الصباح فأيد كلام الفتاة وساعدها في الالحاح على الضابط حتى اقنعاهُ ولكنهُ اصرَّ على ان اعدهُ بعدم محاولتي الفرار فابيت . فتقدمت الفتاة ونظرت اليَّ بغنج وقالت عدني انا بذلك . فقلت لكِ ما تريدين واقسمت لها اني لا احاول الفرار . فصفقت سروراً وسارت امامي مع والدها فتبعتها مع الضابط الى ان دخلنا البيت فنزلنا سلماً اوصلنا الى قبوٍ بارد تحت الارض قد نُضّدت فيهِ الاخشاب والحطب و بقي في وسطهِ فسحة صغيرة اقاموني فيها واخذ الضابط مصباحاً تفقد بنورهِ جوانب القبو ثم قال لي اتمنى لك نوماً سعيداً في هذا الفندق الذي هو احسن ما يمكننا تقديمهُ لكم وعسى في غارتكم الثانية ان تلاقوا بلاداً تستقبلكم باحسن من استقبالنا . ولما قال هذا خرج بعد ان اوصى الفتاة ووالدها بان لا يكلماني ولا يقدّما لي شيئاً من المأكول والمشروب

ولما اقفل عليَّ باب سجني وقفت حزيناً لحبوط مسعاي وقد تمثل لي حال الجيش الذي تركتهُ وهو على شرف الهلاك من عدم القوت ثم اخذت افكر اذا اوصلوني في الغد الى القائد العام وارسلني الى سيبيريا فماذا يحل بوالدتي . وما زلت كذلك الى ان شعرت بوقع اقدامٍ تقترب مني ثم سمعت صوتاً يقول خذ كل واشرب وتقوَّ وابقَ مستيقظاً مستعدّاً . فتبينت المتكلم بنور المصباح الضعيف فاذا بهِ باراكوف الذي اطلقت سراحهُ في الصباح . وقبل ان استفسر معنى كلامهِ ترك لي شيئاً واختفى فاقتربت مما اتى بهِ فوجدتهُ طعاماً فاخراً من اللحم وزجاجة من الخمر وكنت جائعاً جدّاً فالتهمت الطعام وجرعت الشراب فعادت اليَّ قوايَ . وجلست أتفكر فيما قالهُ لي ان ابقى مستيقظاً حتى مضى القسم الاعظم من الليل فنبهني صرير المفتاح في القفل ثم فُتح الباب فدخل منهُ شخص واقفلهُ ثانيةً ولما اقترب مني وجدتهُ صوفيا فسررت بقدومها . أما هي فاقتربت بتأنٍ ثم قالت لي

هل صفحت عني يا كولونيل . فقلت كيف اصفح عمن لا أدري لهُ ذنباً . قالت ربما لم تعرف ذنبي فاعلم ان الرسالة التي ترجمتها لك كانت على عكس ما قرأتهُ تماماً اذ كان مكتوباً فيها « دعوا الفرنسويين يأتون الى منسك فنحن في انتظارهم » فلو ترجمتها لك بنصها لنجوتم ولكني عكست لك المعنى فأصابكم ما انتم فيهِ الآن . اما أنا فما سمعت منها ذلك حتى استشطت غيظاً وهممت بأن اقول أو افعل شيئاً لكنها قاطعتني قائلة لا شك انك محب لوطنك وانك تحترم كل من يحب وطنهُ وأتيقن انك تطنب بمدح فعلتي هذه وتسرّ جدًّا اذا فعلت النسآء الفرنسويات ما فعلتهُ لو اتفق لهنّ مثل هذه الحال . ثم ألحت عليّ طالبة الصفح فلم يمكني الا الاعجاب بذكائها فصفحت عنها . ثم ناولتني مفتاحاً وقالت يوجد ورآء هذه الاخشاب باب فافتحهُ بعد خروجي واخرج منهُ وورآءهُ ممرّ طويل ينتهي بك الى حيث ينتظرك باراكوف بفرسك وسيفك فاركب وسر بحفظ الله بلّغك الله وجهتك سالماً . وكنت كمن يحلم فلم اكد أصدق ما سمعت ولكنني رميت بالمفتاح الى الارض وقلت لا . لا يمكنني الهرب . قالت ولماذا . قلت لاني اقسمت ان لا افرّ . قالت ولمن اقسمت . قلت لكِ . قالت فانا احلك من قسمك هذا فاذهب واياك التأخر فقد قربنا من اواخر الليل . ولما الحت عليّ اخذت المفتاح ثم ضممت صوفيا الى صدري مودعاً وخرجت فما بلغت آخر الممر حتى رأيت باراكوف ينتظرني فناولني سيفي وساعدني على الركوب ثم قال قد اطلقت سراحي في صباح امس وطلبت مني ان اظهر عرفاني لهذه المنة لاول فرنسوي يحتاج الى مساعدتي فلا احقّ منك بذلك فاذهب بسلام واذكر اني قد برئت مما لك عليّ . ولم يمهلني لاشكرهُ فاغتنمت الفرصة واطلقت لفيوليت العنان وكأنها علمت ما انا فيهِ وسرّها اني نجوت فكانت تطير بي على تلك السهول الثلجية . واجتزت مراراً على بعض رجال الحرس فاعطيتهم الشعار (كلمة المرور) وكان قد القاهُ اليّ باراكوف فلم يعترضني احد وما زلت سائراً حتى بلغت مأمني

وما كدت اتحقق النجاة حتى سمعت وقع حوافر جواد ورآئي وصوتاً يناديني

فوقفت انتظر القادم حتى انتهى اليَّ فاذا بهِ الضابط الذي اسرني فلم اهتم بالفرار من امامهِ . ولما حاذاني قال لقد خطر لي ان الفرنسويين لا يعبأون بالشرف وعلمت انك ستنكث وعدك بعدم محاولة الفرار فبقيت مستيقظاً لاعلم ماذا تفعل واشكر الله انني تبعتك وقد عرفت كيف احرسك بعد الآن . قلت اقصر كلامك ايها الوغد واعلم ان الشرف لا يكون الا في الدم الفرنسوي فأنا لم اعدك بما ذكرت . قال ولكنك وعدت الفتاة التي أضافتك في بيتها . قلت نعم فهي التي لها الحق ان تطالبني بوعدي . ولما قلت ذلك جردت سيفي في وجههِ فصاح آه من الخائنة فانها هي التي أطلقت سراحك فسنرى بماذا تجيب غداً وهي سائرة الى سيبيريا . ولم اسمع تلك الكلمة حتى اقشعرَّ جسمي فكان جوابي ان طعنتهُ بسيفي في شعر لحيتهِ الكثيف فخرج نصل السيف من ظهرهِ وسقط الى الارض وألقيت بنفسي وراءهُ فوجدتهُ قد اسلم الروح

وبعد يومين من تلك الحادثة بلغت سمولنسك وانضممت الى بقية ذلك الجيش وقد كان يسير بين الثلوج تاركاً وراءهُ خطًّا متصلاً من الدم والجثث وعُدَد الحرب فاقشعرَّ جسمي من ذلك المنظر الذي يفتت الفؤاد وهو الى الآن لا يفارق عينيَّ ولا يزال يتابعني في احلامي

ولما بلغنا وارزوف كنا قد تركنا خلفنا كل مدافعنا وادوات النقل وثلاثة ارباع جيشنا ولكن شرف جيرار لم يتخلف . وقد قال بعضهم انني نقضت وعدي في الفرار من اسري فليحذر الذين يقولون ذلك امامي لان الحقيقة كما قلتها لكم الآن وليست كما يرويها بعض ذوي الاهواء وليعلم الجميع ان جيرار مع تقدمهِ في السن لا يزال لهُ ساعدٌ يقوى على حمل السيف وانامل تستطيع الضغط على زند الغدارة في وجه الذي يتجاسر على تكذيبهِ أو اهانتهِ